رسائل
عوة وتوجيه
(١)

هُدى واتباع

المنظومة التبريزية

في العقيدة الصحيحة السنية

شرح وتوثيق

مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني
الاستاذ المشارك في قسم علوم الحديث
بكلية الحديث والدراسات الاسلامية بالمدينة

مكتبة العلوم و الحكم
المدينة المنورة

رسائل دعوة وتوجيه (١)

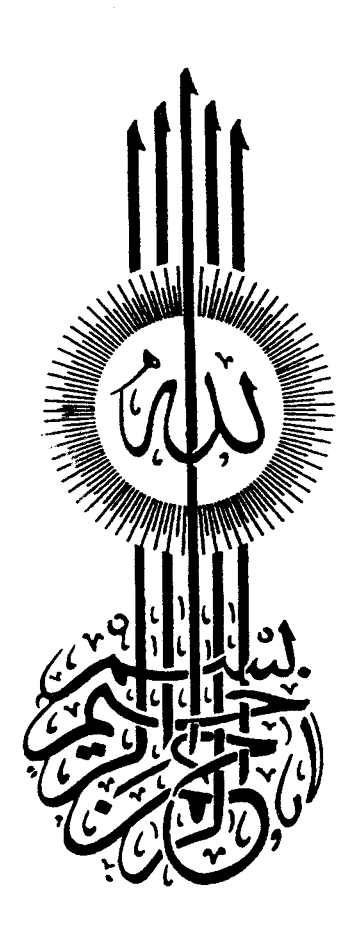
المنظـــــومة التـــبريزيـــــة في العقيدة الصحيحـــــة الســـنّية

شـــرح وتوثيـــق
مرزوق بن هيّاس آل مرزوق الزهراني
الأســـتاذ المشارك في قســـم علوم الحديث
بكلية الحديث والدراسات الإسلامية
بالمدينة النبوية

طبع على نفقة فاعل خير نسأل الله لنا وله القبول وجزيل الثواب

﴿ ثمنه قراءته ﴾

النـــاشر
مكتبة العلوم والحِكم
المديـــنة المنـــوّرة


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزهراني، مرزوق بن هياس آل مرزوق
المنظومة التبريزية في العقيدة الصحيحة السنية./ مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني - المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ

.. ص؛ .. سم - (رسائل دعوة وتوجيه؛ ١)

ردمك: x - 895 - 46 - 9960

١ - العقيدة الإسلامية: أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٥/٦٥٥٨

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٦٥٥٨
ردمك: x - 895 - 46 - 9960

المقـــدمة

الحمد لله حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، حمدا يدوم ولا ينقطع، يكافئ فضل ربنا ومزيد نعمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة هو الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه العزيز، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، فهم المؤمنون بأن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفات الله ﷻ بصفات خلقه، لأنه سبحانه: لا سمي له، ولا كفء له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى، فهو أعلم

---

[1]) من الآية (١١) من سورة الشورى.

بنفسه وبما خلق، وهو خالق كل شيء، وبيّن سبحانه أنه ليس كمثله شيء، ومن أصدق قيلا، وأحسن حديثا، وهم يؤمنون بأن رسله صادقون مصدقون، فيما أخبروا به عن الله ﷻ، لم يختلفوا في ذلك، ولم يقولوا على الله ما لا يعلمون، ومن وصف الله ﷻ بغير ذلك فقد ضل عن الحق، فالله يقول: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[1] فسبّح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمّى به نفسه بين النفي والإثبات.فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهو الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله، المنهل العذب، الصافي النقي، لا يشوبه كدر، ولا يعلوه قتر، وما من غلو وقع في الدين إلا كان سببه بدعة، نشأت من فكر أو خيال، أو هوى ولذلك قال رسول الله ﷺ: (**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور**

[1]) الآيات (١٨٠ـ١٨٢) من سورة الصافات.

محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)[1] فعلى كل مسلم أن يجرد الإتباع لله ﷻ ورسوله ﷺ، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾[2] وأن يتجرد من أي متبوع سوى الله ورسوله، هذا ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ طيلة حياة رسول الله ﷺ، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى سار أصحابه على المنهج النبوي، حذو القذة بالقذة، حتى ظهرت الفتنة، وما نتج عنها من ظهور بعض الفرق التي شقت وحدة المسلمين في المعبود والمتبوع والمنهج، لكن أهل السنة والجماعة ثبتوا على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ من التمسك بالكتاب والسنة، و ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝ ﴾[3].

---

[1]) انظر (المستدرك على الصحيحين ١/١٧٤).
[2]) الآية (٣١) من سورة آل عمران.
[3]) الآية (٢١) من سورة الحديد.

ترجمة الناظم

نسبه:

عبد القاهر بن محمد[١] بن عبد الواحد بن محمد بن إبراهيم بن موسى، جمال الدين، أبو محمد وأبو بكر، التبريزي، ثم الحراني، الخطيب، القاضي، الشافعي[٢].

نسبته:

التبريزي: نسبة إلى تبريز، أشهر مدن أذربيجان، كانت مدينة عامرة حسناء، ذات أسوار محكمة بالآجر والجص، وفي وسطها عدة أنهار جارية، والبساتين محيطة بها، وعمارتها بالآجر الأحمر المنقوش والجص، على غاية الإحكام، وكانت تبريز قرية حتى نزلها الرواد الأزدي، المتغلب على أذربيجان في أيام المتوكل، ثم إن الوجناء بن الرواد بنى بها هو وإخوته قصورا، وحصنها بسور فنزلها الناس معه، عصمها الله من التتار سنة (٦١٨) ثمان عشرة وستمائة من الهجرة، بسبب ما بذل أهلها للصلح، وقد خرج منها جماعة وافرة من أهل

---

[١]) عند الذهبي: ابن عبد الواحد، ولعله نسبه لجده.

[٢]) الدرر ٣/٧، ومعجم الشيوخ ٢/٤٠٨، والدليل الشافي ١/٤٢٣، فوات الوفيات ٢/٣٦٧.

العلم[١] الحراني: نسبة إلى حران، بلدة من الجزيرة، وحران بطن من همدان، كان بها جماعة من الفضلاء والعلماء، وهي من ديار ربيعة أو مضر، ظهر بها الصابئة وهم الحرانيون المذكورون في كتب الملل والنحل[٢] الشافعي: نسبة إلى إمام المذهب محمد بن إدريس بن شافع القرشي[٣] القاضي: نسبة إلى القضاء بين الناس والحكومة، وأول من عرف بهذه النسبة سلمان بن ربيعة الباهلي، وهو أول قاض استقضي بالكوفة، فمكث بها أربعين يوما لا يأتيه خصم[٤].

ولادته:

ولد بحران (١٥/٨/٦٤٨) نصف شعبان سنة ثمان وأربعين وستمائة من الهجرة.

سعيه في طلب العلم:

أصله من بخارى، ومولده بحران، ومنشؤه و اشتغاله بدمشق[٥].

---

١) معجم البلدان ٢/١٣.

٢) الأنساب ٢/٢٤٠، بتصرف و ٤/٩٦.

٣) الأنساب ٩/٢٩٧، ٢/١٠٥، ٨/٦٧، وانظر: ترجمة ١.

٤) الأنساب ١٠/٤٨٧، ٢٥، ٦/٨٩.

٥) معجم الشيوخ ٢/٤٠٩، والدرر ٣/٨.

من أشـــــهر شيوخه:

تاج الدين الفزاري: عبد الرحمن بن إبراهيم بن سـباع ابن ضياء، أبو إسحاق[١] والنجم الموغـاني: نـسبة إلـى موغان، هكذا يقول أهلها بالغين المعجمة، وهي موقان: ولاية بأذر بيجان، فيها قرى ومروج كثيرة، أكثر أهلهـا من التركمان، وهي بين إربيل وتبريز في الجبال[٢] وقـد تفقه على هذين الشيخين، وقرأ القرآن على الـزواوي[٣]: محمد بن سليمان بن سومر، أبو عبـد الله، البربـري، قاضي القضاة،جمال الـدين، المـالكي[٤] ومجـد الـدين الظهير، سمع منه القصيدة البائية، التي أولها: كل حـي إلى الممات ذهابه.

حــالته الاجتماعية:

حكى عنه الذهبي وغيره: أن أمه ماتـت وهـي ابنـة عشرين سنة، وأن أباه قدم به دمشق وهو ابـن سـت، وكان تاجرا ذا مال، فمات فكفله عمـه عبـد الخـالق،

---

[١]) ذيل التقييد٢/٧٩.
[٢]) معجم البلدان٥/٢٢٥.
[٣]) الدرر٢/٨.
[٤]) معجم الشيوخ٢/١٩٤، وذيل التقييد١/١٢٨، والـدرر٤/٦٨، وانظـر (برنـامج الـوادي آشـي: ١٤٢، والـوافي بالوفيات٣/١٣٧ـ١٣٧، والبدايـة والنهايـة١٤/٨٧، والنجـوم الزاهرة٩/٢٣٩، والشذرات٦/٤٤).

ورجع به إلى حران، وباع أملاكه بثمانين ألفا، ورد بـه إلى عمه إلى دمشق، فقال له يوما: امض بنا نتفرج، فخـلا به عمه وخنقه حتى غشي عليه، فرماه في حفرة وطـمّ عليه التراب، ظنا منه أنه قد مات، فعل هذا طمعا في ما ورث من أبيه من مال، فمر بعد ذلك شخص جلس يبول فرأى المدر يتحرك بتحرك رجليه، فاسـتخرجه، فقـام يعدو إلى الماء من شدة العطش فشرب، وتوجـه إلـى بعض أقاربه من النساء، فأقام عندها مختفيا، حتى بلـغ وحفظ القرآن، فمرّ يوما فإذا بعمه، فقال: هـاه جمـال الدين امش بنا؟!!، فلم يكلمـه، ثـم رآه مـرة أخـرى بالجامع، فغاب منه، وتوجه عمه إلى اليمن، فأقام بهـا، بعد أن أخذ مال ابن أخيه، والعجب أن التبريـزي لـم يطالب عمه بشيء، ولم يعاتبه على فعلته الشنعاء عندما رآه، وهذا ينبئ عن أدب وخير وبركة فيه، وهـو مـا ظهر عليه، فقد تفقه على الشيخ تاج الـدين الفـزاري، والنجم الموغاني، وكان قاضيا مشهورا، وخطيبا بليغا[1].

من تلامـيذه:

الذهبي: قال: أنشدنا القاضي عبد القاهر لنفـسه، سـنة (٧٠٤) أربع وسبعمائة من الهجرة:

---

[1]) الدرر ٢/٨ ، وفي فوات الوفيات ٢/٣٦٧ـ٣٦٨، أتم مما في الدرر.

كم بين بان الأجرع ورامية ولعلع
من قلب صب موجع سكران وجد لا يعي[1].
إلى تمام المنظومة التي نحن بصدد شرحها.

مكانـــــته العلمية:

كان عارفا باللغة، خبيرا بالأحكام، قوي المشاركة، لـــه نظم رائق ومحاسن كثيرة.

عــقيدتـــه:

قال الحافظ ابن حجر: قرأت بخط البدر النابلسي، كـــان عالما فاضلا، على معتقد السلف، وقال الذهبي: عزلـــه القزويني لكونه أثبت ولم يتأول، فسار التبريـــزي إلـــى مصر فولاه ابن جماعة نيابة دمياط.

وهذا مؤيد بقصيدته هذه، وأنه على منهج الـــسلف فـــي الاعتقاد، ولذلك عزله القزويني الأشعري.

ذكر بعــض صفاته:

كان مليح الصورة، أبـــيض مـــستدير اللحيـــة، فـــصيح العبارة، فاخر البزة[2].

---

[1]) معجم الشيوخ ٢/٤٠٩.
[2]) الدرر ٢/٨ .

مـــــناصبه:

ناب في القضاء عن الزرعي في صفد: مدينة في جبال عاملة من جبال لبنان المطلة على حمص[1] وكان قد ناب في عجلون: من مدن الشام اليوم ــ ولم أقف على مـــن وصفها ــ وسلمية: بليدة في ناحية البرية، مـــن أعمـــال حماة، بينهما مسيرة يومين في ذلك الوقت، وفي تسميتها قصة: أنه لما نزل العذاب بالمؤتفكة، وهي قريبة منهـــا، رحم الله منهم مائة نفس فنجوا، فانتزحوا إلى موقعهـــا، فعمروا وسكنوا، فسمي الموقع سلم مائـــة، ثـــم حـــرف الناس بعد ذلك اسمها فقالوا: سلمية بـــالتخفيف، ثـــم إن صالح بن علي بن عباس اتخذها منزلا، وبنى هو وولده الأبنية فيها ونزلوها، وبها محاريب سبعة، يقال: تحتهـــا قبور التابعين، وفي طريقها إلى حمص قبر النعمان بـــن بشير، نسب إليها جماعة من العلماء[2] ثم ولي في الآخر قضاء دمياط: مدينة بين تنيس ومصر، بينها وبين تنيس نصف نهار ذلك الوقت، تقع على زاويـــة بـــين البحـــر الأبيض المتوسط ونهر النيل، ومن شمالها يصب النيـــل في البحر، لها سور عليه محـــارس ورباطـــات، طيبـــة الهواء، ثغر من ثغور الإسلام، ذكر فيها رواية تتعلـــق بفتحها على يد عمر بن الخطاب، بها حرف وصناعات

---

[1]) معجم البلدان٣/٤١٢.

[2]) معجم البلدان٣/٢٤٠.

عالية الجودة، ومن أجودها عمل ثياب الشرب الفائق، وهي ثياب رفيعة ذات قيمة عالية، تقدر بثلاثمائة دينار للثوب الواحد، ولم يكن مشغولا بالذهب، وقيل: إنه في سنة (٣٩٨) ثلاثمائة وثمانية وتسعين من الهجرة، بيع حلتان دمياطيتان بثلاثة آلاف دينار، وهذا مما لم يسمع بمثله ببلد، في ذلك الزمان، وكان الوالي عليها عنبسة بن إسحاق الضبي أيام المتوكل، سنة (٢٣٨) ثمان وثلاثين ومائتين من الهجرة، وفي يوم عرفة من هذه السنة هاجمها الروم فملكوها وما فيها، وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين، وسبوا النساء والأطفال وأهل الذمة، وعلى أثر ذلك أمر المتوكل ببناء حصن دمياط، فبقيت في أيدي المسلمين إلى أن كان شهر ذي القعدة سنة (٦١٤) أربع عشرة وستمائة من الهجرة، عهد الملك العادل أبي بكر بن أيوب هاجمها الإفرنج، هذا شيء من قديم تاريخ هذه المدينة العريقة، في جمهورية مصر العربية اليوم[١].

مؤلفاته:

أنشأ خطبا سماها تحفة الألباء، وهي على حروف المعجم، في مجلد، ونظم في وقعة التتار بشقحب: ـ لم أقف على من وصفها ـ قصيدة أولها: الله أكبر جاء

---

[١]) معجم الشيوخ٢/٤٠٩، والدر٣/٨ ، ومعجم البدان٢/٤٧٢ ـ ٤٧٥.

النصر والظفر، ومن شعره في قلعة صفد لما حاصرها الظاهر بيبرس:

ترى منجنيقا يذهب العقل حسه
إذا بات في أقطارها الناس رصدا

إذا ما أراها السهم منه ركوعه
يخر له أعلى الشراريف سجدا[١].

وفـــاتـــه:

مات بدمياط في جمادى الآخرة ســنة (٧٤٠) أربعــين وسبعمائة من الهجرة، وله (٩٢) ثنتين وتسعين سنة[٢].





---

[١]) الدرر ٢/٨ ــ ٩.

[٢]) الدرر ٢/٩.

قال عبد القاهر بن عبد الواحد التبريــزي رحمــه الله [مجزوء الرجز]:

١ـ كم بين بان الأجرع ورامية ولعلع
من قلب صب موجع سكران وجد لا يعي

٢ـ تراه ما بين الحلل جريح أسياف المقل
فارفق به ولا تسل عن قلبه المضيع

٣ـ ود الحمى فأخلصا إذ حقه قد حصحصا
فوده أن يخلصا من الحضيض الأوضع

٤ـ إلى المقام الأول ومعهد الأنس الحلي
والمربع السامي العلي سقيا له من مربع

٥ـ رحلت عن ذاك الفضا لا باختياري والرضا
فيا زمانا قد مضى إن عاد ماض فارجع

٦ـ واركع إذا الليل دجى ركوع خوف ورجا
وعدّ في سفن النجا إلى الفضاء الأوسع

٧ــ عليك بالتهجد وقم طويلا واسجد
وبت نديم الفرقد واشرب كؤوس الأدمع

٨ــ قف عند حكم المصحف من غير ما تحرف
ولا تخض وقعت في أقوال أهل البدع

٩ــ فإنه كلامه أعيى الورى نظامه
وبهرت أحكامه الغر جميع الشيع

١٠ــ منه كما جاء بدا وكن به معتضدا
ولا تجادل أحدا في آية وارتدع

١١ــ ولا تؤل ما ورد لله من سمع ويد
وقل هو الله أحد قول امرئ متبع

١٢ــ وأنه عز وجل كلم موسى ذا الوجل
لما تجلى للجبل جهرا كلاما مسمع

١٣ــ أصغى إليه فوعى بأذنه ما سمعا
ثم أجاب مسرعا جواب ثبت أروع[1]

[1]) أي ملهم (النهاية٢/٢٧٧).

١٤ــ ولا توافق من غوى وقل بأن ذا القوى
حقا على العرش استوى كما أراد فاسمع

١٥ــ وهو تعالى في السما عال ومعنا أينما
بغير كيف لا كما يخطر للمبتدع

١٦ــمن قاسه من البشر بخلقه فقد كفر
وقد أطاع ونصر أمر الهوى المتبع

١٧ــ ويلاه من وزن العمل وبحره عندي وشل[1]
قد غاض[2] طاميه وقل فما ترى من منبع

١٨ــ واعترضت جهنم ونارها تضطرم
وكب فيها المجرم وقيل يا نار ابلعي

١٩ــ وجنة الفردوس قد تزخرفت لمن عبد
وقام ليلا وسجد في طمره المرقع

---

[1]) أي قليل (النهاية٥/١٨٩).
[2]) أي غار ونقص(النهاية٣/٤٠١).

٢٠ــ ونهدت أبكارها واطردت أنهارها
وغردت أطيارها في كل غصن مونع[1]

٢١ــ يا من له تبتلي في كل ليل أليل
ومن إليه موئلي دون الورى ومفزع

٢٢ـ صل على خير البشر من كل أنثى وذكر
محمد وجه القمر ذي الجانب الممنع





[1]) مصدر ينع ينيع، أي أدرك النضج (النهاية٥/٣٠٣).

شـــــــرح المنظـــــومة

١ـ كم بين بان الأجرع ورامية ولعلع
من قلب صب موجع سكران وجد لا يعي

بدأ الناظم رحمه الله هذه المنظومــة بمـــا درج عليــه الكثيرون من الشعراء قبل الإسلام وبعده من طرق باب الغزل، وأرى أن فيه براعة استهلال، واستجلاب لنظر الحاضر وسمعه في آن واحد، فإن الناظر إلى غيرك قد لا يكون سامعا لك، فالنظر يصرف السمع في الغالــب إلى المنظور، وإن سمع شيئا آخر، فضبطه لما سمع، قد يكون خفيفا، ويضاف إلى هذا زيادة استشراف الـسماع لما يتلو من القول، وهو أقوى فـــي الـضبط، وأوعـــى للسمع، وقد سلك هذا الصحابي كعب بـــن زهيـــر فـــي قصيدته والتي استهلها بقوله:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيـــم إثرها لـــم يفد مكبـــــول
وما سعاد غداة البيت إذ رحلوا
إلا أغن غضيض الطرف مكحول

والتي يقال إنه أنشدها في المسجد النبـــوي بـــين يـــدي رسول الله ﷺ، وأنه كساه بردته، وقيل إن معاوية طلبها منه بعشرة آلاف

درهم، فأبى وقال: ما كنت لأوثر بها أحدا، فلما مات باعها الورثة على معاوية بعشرين ألف درهم.

كم بين بان الأجرع، ورامية، ولعلع:

ليس المراد الاستفهام، بل المراد الإخبار بكثرة هذا النوع من القلوب، والبان شجر مستقيم الأغصان طويلها كثيرا ما تغنى به الشعراء، والأجرع: هو علم على موضع باليمامة[١] ورامية: إما أن تكون رامن: بليدة بينها وبين همذان سبعة فراسخ، وهي من بلاد إيران اليوم، أو أنها رامة: منزل في طريق البصرة إلى مكة، وهي آخر بلاد بني تميم، وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة، أو رامة: من قرى بيت المقدس بها مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الأقرب في نظري[٢] ولعلع: موضع على طريق الحاج من البصرة، بينه وبين أقر ثلاثون ميلا[٣].

من قلب صب موجع سكران وجد لا يعي:

أي من قلوب كثيرة أصابها العشق الشديد، فالصب: هو العاشق، والصبابة غاية العشق، ولذلك قال: موجع، أي أصابه

[١]) معجم البلدان ١٠٢/١.
[٢]) معجم البلدان ١٧/٣، ١٨.
[٣]) معجم البلدان ١٨/٣.

الألم من شدة الوله، وأرّقه ما نزل به من ذلك[١] حتى أصبح شبيها بمن ولغ المسكر المحرم فأفقده صوابه، وإن كان ذلك من حرام، لكن سكر المشبه هنا من نوع آخر، وهو فقدان الوعي من ولع شديد بشيء مباح، كما هو معلوم من غاية هذه المنظومة، والوجد: الحب الشديد، ومنه ما ورد في حديث ابن عمر، وعيينة بن حصن: **(والله ما بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد)** [٢].

٢ـ تراه ما بين الحلل جريح أسياف المقل
فارفق به ولا تسل عن قلبه المضيّع

تراه ما بين الحلل جريح أسياف المقل:
أي: تنظر إليه في حلل بهيجة، تدل على مكانة كريمة، وملك وغنى، والحلل مفردها حلة: وهي الفاخر من الثياب، وكانوا لا يسمون اللباس حلة إلا إذا اشتمل على إزار ورداء من نوع واحد، وهي أنواع بحسب العادات والأعراف، مما هو لباس العظماء، من الأغنياء وغيرهم[٣] فإذا كان هذا حاله، وهو مع ذلك مضرّج جريح، صرعه ما حل به من طعن المقل، جمع مقلة: وهي الحدقة: الناظر من العين، لكنه هنا أراد العين[٤]

---

[١]) لسان العرب ١/٥١٨.
[٢]) النهاية ٥/١٥٦.
[٣]) النهاية ١/٤٣٢.
[٤]) النهاية ٤/٣٤٨، ولسان العرب ١١،٦٢٧.

بلحظها وجمالها، ولم يرد جزءا منها، وقد شبه اللحـظ منها بالأسياف الشديدة المضاء والفتك.

فارفق به ولا تسل عن قلبه المضيّع:
لأن من كان هذا حاله يرفل في حلل، وهو في الوقـت ذاته صريع مضرّج، فالأدعى لحاله أن تزيد الشفقة به، فما أوصله إلى هذه الحال إلا أمر جلل، شبه بمن يفقـد قلبه، وما حال من فقد قلبه ياترى؟!!

٣ـ ود الحمى فأخلصا إذ حقه قد حصحصا
فوده أن يخلصا من الحضيض الأوضع

ودّ الحمى فأخلصا إذ حقه قد حصحصا:
أي أخلص الود لأهل الحي،والود: المحبة الخالصة[١] ولا يكون الود إلا في مداخل الخير، ولذلك أكد، خلوص الود للحمى قدرا لمن حل به ممن عشق، وقد كان حق هـذا الحي قد وجب، ولا مفر من إخلاص الود له فقد نزل به محبوبه، وقد سمى الحي حمى تشبيها بالحمى المـصان الممنوع، سواء كان ماديا كأحمية الديار، أو معنويا كما ورد في حديث الإفك من قوله: (أحمي سمعي وبصري)

---

[١]) النهاية٥/١٦٤، ولسان العرب٣/٤٥٣.

أي أمنعهما من أن أنسب إليهما ما لـم يـدركاه، وبـه أصونهما من العذاب[1].

فوده أن يخلصا من الحضيض الأوضع:
أي مرغوبه ومقصوده من هذا الحب أن يكون نظيفا نقيا من الأدران التي تنزل بصاحبها إلى الحضيض: وهـو قرار الشيء وأسفله، وأراد الصفات الموغلـة المهانـة والضعة[2] وهنا يبرز مراد النـاظم مـن هـذه المقدمـة الغزلية، وهو غزل في المكارم والعـلا، ولـيس طلبـا للشهوة والهوى.

٤ــ إلى المقام الأول ومعهد الأنس الحلي
والمربع السامي العلي سقيا له من مربع

إلى المقام الأول ومعهد الأنس الحلي:
لعل الناظم حنّ إلى مرابع الآباء والأجـداد مـن بـلاد الإسلام، بخارى من أعظم مدن ما وراء النهـر، وقـد خرج منها علماء في كل فن يجاوزون الحد، من أبرزهم أبو عبد الله البخاري صاحب الـصحيح، وقـد فتحـت بخارى مرتين: الأولى في عهد معاوية ﷺ، سـنة (٥٥) خمس وخمسين من الهجرة، بقيادة سعيد بن عثمان بـن عفان، والثانية سنة (٨٧) سبع وثمانين مـن الهجـرة،

---

[1]) لسان العرب١٤/١٩٩.
[2]) النهاية١/٤٠٠، ولسان العرب٧/١٣٦.

بقيادة قتيبة بن مسلم[١] أو إلى حران مسقط رأسه، ومقر نشأته ولذلك وقع في النفس كبير، وحران بلدة من الجزيرة، نسبت إلى حران بطن من همدان، كان بها جماعة من الفضلاء والعلماء، وهي من ديار ربيعة أو مضر، ظهر بها الصابئة وهم الحرانيون المذكورون في كتب الملل والنحل[٢] ولا أظنه أراد سوى الأولى، ولا يبعد حنينه لمسقط رأسه، وما في البيت من كلمات توحي بجواز الأمرين.

والمربع السامي العلي سقيا له من مربع:

المربع مكان الإقامة، والربع هو المنزل، والدار بعينها، والوطن متى كان، وبأي مكان كان، ومنه قول رسول الله ﷺ: (وهل ترك لنا عقيل من ربع؟ وفي رواية: من رباع) وهي المنزل ودار الإقامة[٣] وقد وصفه بالسمو والعلو في المكارم، والصفات الحسنة، لأنه لا يوصف بذلك سواها، وطلب السقيا والغيث للمرابع، من أحسن الدعاء لما يتبع ذلك من خير وحسن وجمال تكتسي به المرابع من الديار.

---

[١]) الأنساب ٢/١٠٠، ومعجم البلدان ١/٣٥٣ـ٢٥٥.
[٢]) الأنساب ٢/٢٤٠، ٤/٩٦، ومعجم البلدان ٢/٢٣٥.
[٣]) لسان العرب ٨/١٠٢

٥ــ رحلت عن ذاك الفضا لا باختياري والرضا
فيا زمانا قد مضى إن عاد ماض فارجع

رحلت عن ذاك الفضا لا باختياري والرضا:
أي: انتقل عن مرابعه وديار نشأته، بسبب ما قضى الله من صروف الحياة، فالقدر نافذ بغير اختيار من العبد، لكنه قد يؤول به إلى الخير إما في دنياه أو في آخرته.

فيا زمانا قد مضى إن عاد ماض فارجع:
فيه إشارة إلى أن ما مضى لا يعود، وإن تمنى المتمني، فكأن الناظم يقول: أتمنى عودة الأيام التي عشتها في تلك المرابع، ولما لم يكن ذلك حاصلا، عدل عنه إلى ما هو واقع من عدم الرجوع، للرد على ما تتمناه نفسه بأن الماضي لا يعود، وذلك آكد في يأسها، وأقوى في إقناعها.

٦ــ واركع إذا الليل دجى ركوع خوف ورجا
وعدّ في سفن النجا إلى الفضاء الأوسع

هنا يكشف الناظم رحمه الله عن مراده من تلك الأمنية العديمة التحقق، فالزمان الماضي لا يعود، لا كلا ولا جزءا، وهذا يستدعي الحرص الشديد على استثمار الوقت فيما ينفع، وإلى ما تجب العناية به في استثمار

الوقت، ما فيه طاعة لله ورسوله، فإنه غراس الآخرة، وهو غراس لا تجنى ثماره إلا في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ومن أسباب السلامة حمل النفس على الطاعات وأعمال الخير، وتزكيتها من الشرور والآثام، فقد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها.

وقد تضمنت هذه المنظومة مباحث مهمة في عبادة واعتقاد المسلم، يجب أن يجعلها ركائز في أعماله وتصرفاته، وكل شؤون حياته:

المبحث الأول

المحافظة على النوافل

يقول الناظم رحمه الله:

واركع إذا الليل دجى ركوع خوف ورجا:

تجاوز الناظم رحمه الله التوجيه والإرشاد إلى المحافظة على الفرائض إيماء منه إلى أن الفرائض أمر مفروغ من وجوب المحافظة عليها، وذلك أدنى الكمال من فرّط في شيء منه هلك والعياذ بالله، أخرج البخاري من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ يقول: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن

الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **(خمس صلوات في اليوم والليلة)** فقال: هل علي غيرها؟ قال: **(لا إلا أن تطوع)** قال رسول الله ﷺ: **(وصيام رمضان)** قال هل علي غيره؟ قال: **(لا إلا أن تطوع)** قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل علي غيرها؟ قال: **(لا إلا أن تطوع)**. قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: **(أفلح إن صدق)**[1] هذا الرجل أقسم أنه لا يزيد على ذلك ولا ينقص، فلم يعنفه رسول الله ﷺ، بل ألزم ﷺ فلاحه بصدقه في عدم النقصان، لأنه أدنى الكمال، ولم يلزمه بالتطوع لأنه زيادة طاعة على الفرض، ولذلك سمي نفلا، فكأن الناظم يقول نحن متفقون على وجوب المحافظة على أدنى الكمال، ولكني أدعو إلى الكمال نفسه، وهو الزيادة على الفرض، ثم بدأ مرة أخرى بالتوجيه إلى الكمال في أعمال النوافل، إيماء منه إلى أن أدنى الكمال في النوافل هو المحافظة على السنن الراتبة، وهي ركعتين قبل صلاة الفجر، لقول عائشة رضي الله عنها: **(لم يكن النبيﷺ، على شيء من النوافل، أشد منه تعاهدا على ركعتي الفجر)**[2] وقولها: **(كان يصلي في بيتي قبل الظهر أربعا، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيصلي ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب، ثم يدخل فيصلي**

---

[1]) البخاري حديث (٤٦).
[2]) أخرجه البخاري حديث (١١١٦).

ركعتين، ويصلي بالناس العشاء، ويدخل بيتي فيصلي ركعتين) [١] وما ورد في حديث ابن عمر ﷺ قال: **(صليت مع رسول الله ﷺ قبل الظهر سجدتين، وبعدها سجدتين، وبعد المغرب سجدتين، وبعد العشاء سجدتين، وبعد الجمعة سجدتين، فأما المغرب والعشاء والجمعة، فصليت مع النبي في بيته)** [٢] وقد عبر بالسجدتين وهو يعني ركعتين، فيكون المجموع (١٢) ثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة، وهو ما ورد في حديث أم حبيبة أنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة، بني له بهن بيت في الجنة)** قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة.

وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة.

وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس [٣].

وهذا هو الكمال في الرواتب، وأدنى الكمال في النوافل، أما الكمال في النوافل فهو الإتيان بمزيد على هذا، وهو كمال نسبي يتفاوت من شخص لآخر، على قدر ما ينال

---

[١]) أخرجه مسلم حديث (٧٣٠).

[٢]) أخرجه مسلم حديث (٧٢٩).

[٣]) أخرجه مسلم حديث (٧٢٨).

من جهد وحرص على ما وجه إليه رسول الله ﷺ في هذا الباب، ومن ذلك الحرص على صلاة الضحى، والتي تسمى صلاة الأوابين، وأقلها ركعتان، وأكملها ثمان، وقد أخبرت عائشة رضي الله عنها: **أن رسول الله صلاها أربعا ويزيد ما شاء**، وفي حديث أم هاني: أنه صلى ثمان ركعات[١] فكأن الناظم رحمه الله يقول: أنا وأنتم متفقون على المحافظة على السنن الراتبة، ولكن هلموا إلى المزيد مما هو أكمل، وذلك ما كان يفعله رسول الله ﷺ، ورد في حديث عائشة رضي الله عنها، عن صلاة رسول الله ﷺ في تطوعه فقالت: **(كان يصلي من الليل تسع ركعات. فيهن الوتر، وكان يصلي ليلا طويلا قائما، وليلا طويلا قاعدا، وكان إذا قرأ وهو قائم، ركع وسجد وهو قائم، وإذا قرأ قاعدا، ركع وسجد وهو قاعد، وكان إذا طلع الفجر، صلى ركعتين)**[٢] وهذا ما عناه الناظم رحمه الله بقوله:

واركع إذا الليل دجى ركوع خوف ورجا:

فإنه إرشاد منه إلى هذا العمل الجليل الذي حرّص عليه رسول الله ﷺ أمته، لما فيه من الخير والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، ومن فضل الله على هذه الأمة أنه تعالى يقبل منهم العمل الصالح القليل، ويعطي عليه

---

[١]) أخرجه مسلم حديث (٣٣٦).
[٢]) أخرجه مسلم حديث (٧٣٠).

الأجر الكثير، ولم يوجب عليهم كثير من الطاعات سواء كانت بدنية أو مالية، وإنما ندب إلى ذلك على لسان عبده ورسوله نبينا محمد ﷺ، وسواء التزم ما كان يفعله رسول الله ﷺ، أو زاد في قيامه فذلك خير لا ينكر استنادا إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن صلاة الليل؟، فقال رسول الله ﷺ: **(صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح، صلى ركعة واحدة، توتر له ما قد صلى)**[1].

المبحث الثاني

الخوف والرجاء

واركع إذا الليل دجى ركوع خوف ورجا:

هذا من مباحث العقيدة لبيان أن المسلم يدور أمره في الحياة بين الخوف والرجاء، وهو في كل شؤون الحياة الدينية والدنيوية يعمل بناء على هذه القاعدة العقدية العظيمة، فإن وقع منه عمل صالح استبشر ورجا الثواب من الله ﷻ، وإن وقع في معصية اشتد ندمه على ما فعل خوفا من عقاب الله ﷻ، فالجمع بين الخوف والرجاء من

---

[1]) أخرجه البخاري، حديث (٤٧٢).

الواجبات الشرعية، لتلازمهما في كمال التوحيد، كتلازم الشهادتين في الإيمان بالله ورسوله، وهذا منهج أهل السنة والجماعة، داعين إليه متمسكين به إلى قيام الساعة.

الخوف:

هو من العبادات القلبية التي يتقرب بها إلى الله تعالى، فهو القائل سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[1]

وهو ينقسم إلى قسمين:

١ـ **الخوف الطبعي**، أو الجبلي: وهو الخوف الذي أوجده الله في نفس الإنسان بحكم الطبع البشري، فهذا لا حرج على المسلم من أن يخاف من عدوه، أومن مؤذيات كالحيات والعقارب ونحوها، أو من السباع، أومن نار، أو أي شيء فيه أذى وهلاك، فإن ذلك أمر جبلي، لا عيب في وجوده، ولا مانع من الأخذ بالأسباب المنجية منه بإذن الله تعالى، ومن هذا القبيل خوف نبي الله موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً

---

[1]) الآية (١٧٥) من سورة آل عمران.

مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾[1] لم يعنفه الرب سبحانه، بل قال: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾[2] وقد ذكر الله ﷻ هـذا النوع من الخوف وأنه يحدث للمؤمنين ابتلاء وتمحيصا قـال تعـالى: ﴿ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[3] وقال تعـالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4] وذكره تعالى في وصف المنافقين فقال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ

---

[1]) الآية (٦٧) من سورة طه.
[2]) الآية (٦٨) من سورة طه.
[3]) الآية (١٥٥) من سورة البقرة.
[4]) الآية (٢٣) من سورة المائدة.

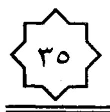
ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾[2] إذن هذا النوع خوف جبلي في الإنسان المؤمن وغيره على حدّ سواء، بل يتعدى الإنسان إلى الدواب بكل أشكالها، حتى الأسد مثلا يخاف من صياده ولو قاوم.

٢ـ الخوف الشرعي: ينقسم إلى قسمين:

أ- **خوف شرعي مأمور به:** وهو ما كان على نحو قول الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

---

[1]) الآية (١٩) من سورة الأحزاب.
[2]) الآية (٨٣) من سورة النساء.



لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾[٤] فهذا النوع من الخوف مطلوب شرعا، وهو عبادة لله، يعين على فعل الخير، ويمنع من الوقوع في الشر.

ب ـ **خوف شرعي منهي عنه:** وهو الخوف الذي لا يجوز أن يكون إلا من الله وحده لا شريك له، ومن وقع فيه فسبب ذلك الشرك بالله ﷻ، وهو ما يقع وله تعلق بالاعتقاد، فيكون في قلب الإنسان الخوف من أي شيء

---

[١]) الآية (٥١) من سورة الأنعام.
[٢]) الآية (٥٠) من سورة النحل.
[٣]) الآية (٣٧) من سورة النور.
[٤]) الآية (٣٧) من سورة الذاريات.

كان أنه ينفع ويضر من دون الله ﷻ، فيعمل أعمالا يتقرب بها إليه خوفا من أن يصيبه بمكروه، وسواء كان المخوف منه من الإنس أو الجن أو غير ذلك من المخلوقات، فإنه من الشرك الذي حرم الله الجنة على أهله، قال تعالى: ﴿ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[2] ونفي المغفرة يقتضي عدم دخول الجنة، فمن أفرد الرب سبحانه، بالخوف في أمر النفع والضر فقد حقق التوحيد لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[3] لأن أمر الله تعالى لعباده بعدم الخوف من الشيطان وأوليائه، هو أمربأحد أفراد التوحيد وهو الخوف منه دون سواه، وهو

---

[1]) الآية (٧٢) من سورة المائدة.
[2]) الآية (٤٨) من سورة النساء.
[3]) الآية (١٧٥) من سورة آل عمران.

في نفس الأمر نهي عن أحد أفراد الشرك، كالخوف من الشيطان وأوليائه، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[١] هذا دليل على أن الخوف عبادة يجب أن يوحد الله تعالى بها، على حد قول الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: **(يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)**[٢] ولذلك أثنى الله على بعض عباده فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ

---

[١]) الآية (١٧٥) من سورة آل عمران.

[٢]) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[١] ومنه ما كان على نحو قول الله تعالى: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ ﴾[٣].

الرجاء:

الأصل فيه قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[٤]

وقوله سبحانه تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ

---

[١]) الآية (٥٤) من سورة المائدة.
[٢]) الآية (٥٠) من سورة النور.
[٣]) الآية (٥٣) من سورة المدثر.
[٤]) الآية (٥٣) من سورة الزمر.

رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[١] وقـــول الله ســـبحانه تعـــالى: ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[٢] هذا التوجيه الرباني إلى عدم القنوط واليأس من روح الله تربيـــة للمـــؤمنين على أن رحمة الله واسعة، منبها على أن ملازمة القنوط واليأس لا تكون إلا من الكافرين، الذين لم يعرفوا رحمة الله ولا فضله وإحسانه، فوقعوا في هذه الصفة الذميمة، فنتج عن أمنهم من مكر الله سبحانه، عدم خوفهم من الله ﷻ، وقد حذر الله من ذلك فقال تعالى: ﴿ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[٣] ولا يـــتم الخوف والخشية إلا لمن عـــرف الله ﷻ، ولـــذلك قـــال تعـــالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[٤].

---

[١]) الآية (٥٦) من سورة الحجر.
[٢]) الآية (٨٧) من سورة يوسف.
[٣]) الآية (٩٩) من سورة الأعراف.
[٤]) الآية (٢٨) من سورة فاطر.

وقد يرد سؤال بناء على هذا الترغيب من الله ﷻ في الرجاء، فيقال: أيهما أولى بالمسلم تغليب الخوف أم الرجاء؟.

والجواب أن الإنسان لا يخلو من إحدى ثلاث:

١ـ إما أن يكون من الصالحين المسارعين إلى فعل الطاعات، وهو في صحة وعافية، فهذا يتساوى في حقه الخوف والرجاء، فلا ينفصل أحدهما عن الآخر، فالرجاء في حقه قائم باعتباره صاحب طاعة، وعمل صالح، وهو من أهل السلامة والعافية، وكذلك الخوف قائم باعتبار الحذر من سوء العاقبة، أو الخاتمة.

٢ـ وإما أن يكون العكس، قلة الطاعة، وضعف المبادرة إلى الخيرات، فهذا يغلّب جانب الخوف، فيجب أن يخاف أن يدركه الأجل وهو على حال تؤول به إلى سوء الخاتمة، وتغليب الخوف يجعله يترك العصيان، ويبادر بالتوبة، وإن كان الرجاء قائم في حقه لكنه أضعف من الخوف.

٣ـ وإما أن يكون في حال صحة متردية، وضعف مستمر، فيجب عليه أن يغلّب الرجاء، وإن كان الخوف في حقه قائما لكنه أضعف من الرجاء، لما ورد في حديث جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام، يقول: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ)[1].

---

[1]) أخرجه مسلم حديث (٢٨٧٧).

وعدّ في سفن النجا إلى الفضاء الأوسع:

أي أدخل واركب مطية تنجيك من الهلاك، وقد شبه الناظم رحمه الله الطاعات فرضا ونفلا، شبّهها بالسفن التي تعبر بمن امتطاها الأنهار والبحار والمحيطات، وقد أوردها الناظم بلفظ الجمع دون المفرد إيماء إلى أن كل طاعة يجريها العبد قاصدا بها وجه الله ﷻ، فهي سفينة نجاة في حد ذاتها، لكنها لا تغني عن المجموع المطلوب منها قدر الوسع والطاقة، فهي في الحقيقة سفن في سفينة واحدة، هي العمل بالكتاب والسنة، ولا تكون الطاعات منجية إلا إذا كانت مبنية على عقيدة صحيحة، بهذا يصل المسلم إلى الفضاء الأوسع، وهو الدار الآخرة، والمراد الجنة وما فيها من الرحابة والسعة، والنعيم صفة لها، ولا يقال ذلك للنار أجارنا الله منها، لأنها موصوفة بدار الجحيم والعذاب الأليم، وذلك من الضيق وليس من السعة في شيء.







المبحث الثالث
الترغيب في الطاعات

٧ـ عليك بالتهجد وقم طويلا واسجد
وبت نديم الفرقد واشرب كؤوس الأدمع

هذا توكيد لما ذكر في البيت السابق، من الإرشاد إلى ملازمة الطاعات فرضا ونفلا، على نحو ما أوضحنا، والتهجد: هو من الأضداد يطلق على السهر والنوم، لكن التهجد إذا أطلق فالمراد به قيام الليل، والمتهجدون المصلون بالليل[١] وقد ندب الناظم رحمه الله إلى الطول في القيام والسجود، وعنى بطول القيام طول القراءة، وبطول السجود طول التسبيح والدعاء، وهذا عمل حسن، فعله رسول الله ﷺ، لكنه غير واجب والاقتصار على المستطاع هو الكمال، ومن خفف فلا بأس، ومن أعظم ما يحصل لصاحب هذا العمل أن صلاته مشهودة من ملائكة الرحمة، وقد ورد ذلك في حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (**من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن صلاة آخر الليل مشهودة. وذلك**

---

[١]) انظر (النهاية٥/٤٤).

أفضل)[١] وما ورد من أن في الليل ساعة لا يوافقها مسلم إلا أعطي ما سأل، ورد ذلك في حديث جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (**إن في الليل لساعة، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة**)[٢] ولا ريب أن هذه الساعة هي ما ورد في حديث أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له**)[٣].

وبت نديم الفرقد واشرب كؤوس الأدمع:

توجيه من الناظم رحمه الله إلى أن يكون المسلم حريصا على الطاعات، كثير الخشية من الله ﷻ، فالخشية أخص من الخوف، وهي جالبة لدمع العين، ومن دمعت عينه من خشية الله حماها الله من النار، لما ورد في حديث ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: (**عينانِ لا تمسهما النار عينٌ بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**) [٤].

---

[١]) أخرجه مسلم حديث (٧٥٥).
[٢]) أخرجه مسلم حديث (٧٥٧).
[٣]) أخرجه مسلم حديث (٧٥٨).
[٤]) أخرجه الترمذي حديث (١٦٩٠).

المبحث الرابع

الحث على التمسك بالكتاب والسنة

٨ ـ قف عند حكم المصحف من غير ما تحرف
ولا تخض وقعت في أقوال أهل البدع

هذا البيت فيه توجيه عام إلى التزام نهج الكتاب والسنة، ونهي عن مجاوزة ذلك، لأن من جاوز ذلك فقد اتبع الرأي، ومن اتبع الرأي وقع في الهوى، وذلك يفضي به إلى الابتداع، أو الاقتداء بمن سبقه من أهل البدع والأهواء، ويكون ممن قال فيهم الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[1].

قف عند حكم المصحف من غير ما تحرف:
نبه الناظم رحمه الله إلى الوقوف عند كلام الله ﷻ، والذي عبر عنه بالمصحف، وهو الكلام المتلو من المصحف الذي حواه، وجمع فيه، من فعل أبي بكر، ثم

[1]) الآيتان (١٠٣، ١٠٤) من سورة الكهف.

عثمان، رضي الله عنهما، واشتهرت التسمية بالمصحف من فعل عثمان ﷺ إذ جمع ما كان من القرآن في اللخاف والعسب، والرقاع، وصدور الرجال، وجعله في كتاب واحد سماه المصحف، بعث منه إلى كل مصر بنسخة، فحفظ الله بهذا العمل كلامه العزيز، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝ ﴾[1]

وقول الناظم هذا هو عمل بقول الله ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝ ﴾[3] ولم يصرح الناظم بالوقوف عند القول من السنة الصحيحة لأن ذلك داخل في الوقوف عند قول المصحف، وهو قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ

[1]) الآية (٩) من سورة الحجر.
[2]) الآية (١٠٣) من سورة آل عمران.
[3]) الآية (٦٥) من سورة النساء.

ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[٤] والوقوف عند قول المصحف، معناه التدبر والفهم لمقصود الرب سبحانه وتعالى، عملا بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ

---

[١]) من الآية (٧) من سورة الحشر.
[٢]) من الآية (٦٣) من سورة النور.
[٣]) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب.
[٤]) الآية (٣١) من سورة آل عمران.

﴿ ٢٤ ﴾[1] ويجب أن يكون هذا التدبر بفهم صحيح في إطار صحيح، بعيدا عن الغلو الذي هو الإفراط، وعن التساهل الذي هو التفريط، والحرص على ما بينهما وهو التوسط، منهج الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2] شهداء على الناس، الذين أفرطوا، والذين فرّطوا، ويشهد الرسول ﷺ على وسطية هذه الأمة، فلا تحريف ولا تبديل في الإسلام الدين الحق، ففيه الكمال والعدل والرأفة والرحمة، وفي هذا المعنى وصية رسول الله ﷺ، قال العرباض بن سارية: وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فبماذا تعهد الينا يا رسول الله؟، قال: (**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فانه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين**

---

[1]) الآية (٢٤) من سورة محمد.
[2]) من الآية (١٤٣) من سورة البقرة.

المهديين، عضوا عليها بالنواجذ) [١] وفي رواية ابن ماجه: **(وعظنا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب. فقلنا: يا رَسُول الله، إنَّ هَذهِ لموعظة مودع، فما تعهد إلَيْنَا؟ قالَ: قد تركتكم على البيضاء. ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هلك. مِن يعش منكم فيسرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم مِن سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ. وعليكم بالطاعة. وإن عبداً حبشياً. فإنما المؤمِن كالجمل الأنف، حيثما قيد انقاد)** [٢] وهذا هو العمل بالكتاب والسنة، ومن زعم غير ذلك فقد ركب مركبا صعبا من الزلل والمهالك، وهذا ما عناه الناظم رحمه الله بقوله:

ولا تخض وقعت في أقوال أهل البدع:

وهو تحذير من الناظم رحمه الله تعالى، لأن ذلك يفضي إلى الهلاك كما قال تعالى حكاية عن الذين يطلقون ألسنتهم بكل قول من غير وعي لخطورة ما يقولون:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾

---

[١]) أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، انظر رقم (٢٨١٦).

[٢]) حديث (٤٣) وهو من أدلة اللالكائي (شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨٢/٢).

قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[١]

وقوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[٢]

والخطر في الحقيقة ليس محدقا بهؤلاء فحسب، بل ينال الذين يجلسون معهم، ويسمعون كلامهم، ولا ينكرون عليهم، فإنهم مثلهم في الإثم والعقوبة،كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[٣] والخوض يشمل هذا وغيره من محاولة التفلسف، والتزام الجدل لرد ما هو حق بالنص من الكتاب أو السنة أو منهما معا، أو تأويل الشيء على غير وجهه مع الزعم بأن هذا مراد الله ورسوله، أو مما يقال في المجالس لإضحاك الناس، وهو من سخط الله ورسوله، ولذلك حذر رسول الله ﷺ من حصاد الألسنة كما ورد في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه

---

[١]) الآية (٦٥) من سورة التوبة.

[٢]) الآية (٤٥) من سورة المدثر.

[٣]) الآية (١٤٠) من سورة النساء.

قال: (كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل، قال: ثم تلا ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1]

ثم قال: ألا أخبركم برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه: قلت: بلى يا رسول الله قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله، قلت بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بلسانه، قال: كف عليك هذا. فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على

---

[1]) الآيتان (١٦، ١٧) من سورة السجدة.

مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم) [1] فالخوض شامل لكل مفسدة، فلنطهر ألسنتنا من هذا الداء الوبيل.

المبحث الخامس
صفة الكلام

٩ـ فإنه كلامه أعيى الورى نظامه
وبهرت أحكامه الغرّ جميع الشيع

أورد الناظم رحمه الله هذا البيت لوصف القرآن الكريم كلام الرب سبحانه وتعالى، وما فيه من كمال الأسلوب، وعدالة المنهج والحكم، فهو أعدل الكلام وأصدقه وأجمله وأبلغه وأحلاه، بهر أرباب الفصاحة، وملّاك البلاغة، **﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** [2] وقد روي في وصفه قول علي ﷺ: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهوالفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه**

---

[1]) أخرجه الترمذي حديث (٢٧٤٩) وقال: حسن صحيح.
[2]) الآية (٤٢) من سورة فصلت.

الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝ ﴾[1] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)[2].

فإنه كلامه أعيى الورى نظامه:

أي القرآن الكريم، هو كلام الله ﷻ منزل غير مخلوق، ومن زعم أنه مخلوق فقد وقع في الضلال، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، فالله ﷻ يتكلم، ويقول، ويتحدث، وينادي، كلامه بصوت وحرف، والقرآن كلامه، مُنَزَّلٌ غير مخلوق، وكلام الله صفة ذاتية فعلية: ذاتية باعتبار الأصل، وفعلية باعتبار الآحاد، ومرد هذا القول عند أهل السنة والجماعة هو كتاب الله يقول الله تعالى:

---

[1]) الآيتان (١، ٢) من سورة الجن.

[2]) أخرجه الترمذي (٣٠٧٠) وفي إسناده كلام، ومعناه صحيح.

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾[١] وقولـــه تعـــالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٢] وقولـــه تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾[٣]

وقولـــه: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٤] وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ﴾[٥] ومـــا ورد فـــي المحاجـــة بـــين آدم

---

[١]) الآية (١٦٤) من سورة النساء.
[٢]) الآية (٣٠) من سورة القصص.
[٣]) الآية (١٠٩) من سورة الكهف.
[٤]) الآية (٦) من سورة التوبة.
[٥]) الآية (٨٧) من سورة النساء.

وموسى عليهما السلام، من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: (**احتجَّ آدم وموسى، فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة؟ قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه، ثم تلومني على أمر قد قدر علي قبل أن أخلق؟ فحجَّ آدم موسى**)[1] وما ورد في حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (**يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**)[2] وما ورد في الصحيحين من قول عائشة رضي الله عنها في شأن الإفك: لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمرٍ يتلى، ومثل هذا كثير.

وبهرت أحكامه الغرّ جميع الشيع:

أشار الناظم رحمه الله إلى ما فيه من الإعجاز، وأنه لا يجارى، وقد تحدى به الرب سبحانه وتعالى أرباب الفصاحة والبلاغة من العرب، الذين سبقوا كل الأمم في ميدان الإعجاز اللغوي والبلاغي، أنزله الله تعالى بلسانهم وبالأحرف التي يتكون منها كلامهم، وغاية ما قالوا فيه إنه مفترى، فقال تعالى متحديا لهم: ﴿ أَمْ

---

[1]) أخرجه البخاري حديث (٧٠٧٧) واحتج به اللالكائي (شرح أصول اعتقاد أهل السنة٢/٢٥٠).

[2]) أخرجه البخاري حديث (٦١٦٥).

يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[١] فالقرآن مجموع سوره (١١٤) مائة وأربع عشرة سورة، تحداهم رب العزة والجلال، هم وكل من يقدر على معاونتهم على أن يأتوا بعشر سور يفترونها من عند أنفسهم، شريطة أن تماثل القران في إحكامه وإعجازه، وأنى لهم ذلك، فقال تعالى لهم زيادة في التحدي وقد عجزوا عن الإتيان بعشر سور مفتريات:

﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٢] فثبت عجزهم هم ومن استطاعوا الاستعانة بهم، وكذلك شهداؤهم، عجزوا جميعا عن إتيانهم بسورة واحدة يفترونها، وتماثل أقل سور القرآن، ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ ﴾ بل هم عاجزون عن

---

[١]) الآية (١٣) من سورة هود.
[٢]) من الآية (٢٣) من سورة البقرة.

محاكاة بعض آية واحدة منه كقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾[١] وإذا ثبت عجزهم عن أقل القليل فهم عن المثل أعجز وأقعد، ولذلك قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٢] أعيى الورى، وبهر كل الشيع، لأنه صادر عن الخالق سبحانه وتعالى ومتسحيل أن يصدر عن المخلوق ما يماثله، أو يحاكية.

١٠ـ منه كما جاء بدا وكن به معتضدا
ولا تجادل أحدا في آية وارتدع

هذا توكيد لما تقدم من القول في كلام الله ﷻ، من الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في

---

[١]) من الآية (١٧٩) من سورة البقرة.
[٢]) الآية (٨٨) من سورة الإسراء.

المصاحف؛ لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا، لا إلى من قاله مبلغا مؤديا، وهو كلام الله، حروفه، ومعانيه، وليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، ولذلك وجب الاعتصام به، قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[1].

ولا تجادل أحدا في آية وارتدع:

هذا توجيه إلى أن ما مضى من القول يقتضي التسليم المطلق لكلام الله ﷻ، جملة وتفصيلا، وأنه لا مجال للمراء في شيء منه ولو آية واحدة، ومن فعل ذلك فقد خالف نهج أهل السنة والجماعة.





[1]) من الآية (١٠٣) من سورة آل عمران.

المبحث السادس

القول في الأسماء والصفات

١١ــ ولا تؤل ما ورد لله من سمع ويد

وقل هو الله أحد قول امرئ متبع

يشير الناظم رحمه الله تعالى إلى أن لله ﷻ أسماء وصفات، تليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه، وهو القائل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[3]

---

[1]) الآية (١٨) من سورة الأعراف.

[2]) الآية (١١٠) من سورة الإسراء.

[3]) الآية (٨) من سورة طه.

وقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] هذه الآيات تثبت أن لله الأسماء الحسنى، وأن من يلحد في أسمائه تعالى بتأويل أو تحريف أو تعطيل، أو غير ذلك مما لا يليق بالرب سبحانه وتعالى سيجزيهم الله بما كانوا يعملون، ولا ريب أن من يلحد في الأسماء يلحد في الصفات، فكان أهل السنة والجماعة ألزم للحق وأبعد عن الباطل، ومنه الإلحاد في الأسماء والصفات، فمن أول أي صفة من صفات الله تعالى بغير مدلولها اللغوي، فقد ألحد، وقال إما بالتجسيم، أو بالتعطيل، بل هي على الحقيقة اللغوية، وعلى ما يليق بجلال الله تعالى وكماله، إثبات بغير تمثيل، وتنزيه بدون تعطيل، ومن أثبت بتمثيل فقد شبه الخالق بالمخلوق، ومن نزه بنفي شيء من الصفات فقد عطل، وجعل الرب عدما، ومن هنا صدق من قال: المشبهة يعبدون صنما، والمعطلة يعبدون عدما، فالقاعدة التي بنى عليها أهل السنة والجماعة القول في الأسماء والصفات قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

---

[1]) الآية (٢٤) من سورة الحشر.

شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[١] فالموصوف بهذه الصفات، والنعوت، والأفعال، والعلو، والعظمة، والحفظ، والعزة، والحكمة، والملك، والحمد، والمغفرة، والرحمة، والكلام، والمشيئة، والولاية، وإحياء الموتى، والقدرة التامة الشاملة، والحكم بين عباده، وكونه فاطر السموات والأرض، وهو السميع البصير، وغير ذلك من الصفات المعلومة في الكتاب والسنة، الموصوف بها جميعا هو الذي ليس كمثله شيء، لكثرة نعوته وأوصافه وأسمائه وأفعاله وثبوتها له على وجه الكمال الذي لا يماثله فيه شيء، وهو الله ﷻ وحده لا شريك له، فإن منهج أهل السنة والجماعة الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه العزيز، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه: لا سمي له، ولا كفء له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى، وكل ما ورد الأسماء والصفات هو على الحقيقة، وعلى ما يليق بجلال الله وعظمته، ومبنى ذلك ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

[١]) من الآية (١١) من سورة الشورى.

ﵟٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ﵞ[1] وسُورَةِ الإخْلاصِ الَّتِي تَعْـدِلُ ثُلُثَ القُـرْآنِ ﵟقُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ﵞ وهذا هو الاتباع، وما سواه ابتداع.

١٢ــ وإنه عز وجل كلم موسى ذا الوجل

لما تجلى للجبل جهرا كلاما مسمع

هذا توكيد من الناظم رحمه الله لما أورد في البيت التاسع، وهو المبحث الخامس، صفة الكلام، وقد تم الكلام عليه، ومنه:

إن الله ﷻ يتكلم، ويقول، ويتحدث، وينادي، كلامه بصوت وحرف، والقرآن كلامه، مُنَزَّل غير مخلوق، وكلام الله صفة ذاتية فعلية: ذاتية باعتبار الأصل، وفعلية باعتبار الآحاد، ومرد هذا القول عند أهل السنة والجماعة هو كتاب الله يقول الله تعالى: ﵟوَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ﵞ[2] وقوله

---

[1]) من الآية (١١) من سورة الشورى.

[2]) الآية (١٦٤) من سورة النساء.

تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾[٢] وقوله: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ﴾[٤] والكلام صفة من صفات الله ﷻ على الحقيقة، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، وليس من إضافة المخلوق إلى الخالق، ومن زعم ذلك فقد وقع في بدعة عظيمة، تفضي به إلى القول بخلق القرآن،

---

[١]) الآية (٣٠) من سورة القصص.
[٢]) الآية (١٠٩) من سورة الكهف.
[٣]) الآية (٦) من سورة التوبة.
[٤]) الآية (٨٧) من سورة النساء.

والقرآن كلام الله تعالى، وهو صفته وصفات الله عَزَّوَجَلَّ ليست مخلوقة، وليست إضافة الكلام إليه تعالى إضافة وصف، بل إضافة صفة على الحقيقة، ومن زعم غير هذا فقد وقع في بدعة عظيمة، وهي القول بالحلول ووحدة الوجود، وقد سدد الله تعالى في الأمرين أهل السنة والجماعة فقالوا: بقول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾[1] وأثبتوا لله تعالى الأسماء والصفات على الحقيقة، وعلى ما يليق بجلال الله وعظمته، بلا كيف ولا تمثيل.

١٣ـ أصغى إليه فوعى بأذنه ما سمعا

ثم أجاب مسرعا جواب ثبت أروع

مراد الناظم من هذا القول أن الله تعالى كلّم موسى بصوت مسموع، سمعه موسى، بأذنه ووعى كلام ربه عَزَّوَجَلَّ، ونتيجة لذلك أجاب دون تردد في أن من كلمه هو ربه سبحانه وتعالى، وأسرع في تنفيذ ما كلف به من رسالة إلى فرعون وقومه.

---

[1]) من الآية (١١) من سورة الشورى.

المبحث السابع
الاســتواء على العــرش

١٤ـ ولا توافق من غوى وقل بأن ذا القوى
حقا على العرش استوى كما أراد فاسمع

يشير الناظم رحمه الله في هذا البيت إلى أن غير أهل السنة والجماعة قد ضل في تفسير معنى الاستواء على العرش، وتأولوا الآية الكريمة على معنى يخالف ما هو الصحيح، ويلزمهم كما أثبتوا لله السمع والبصر، أن يقولوا في صفات الله الأخر، أنها على الحقيقة، وعلى ما يليق بجلال الله تعالى وكماله، فليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه استوى على العرش ورد ذلك في سبعة مواضع من كتاب الله العزيز منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ

رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[٤] كل هذا عند أهل السنة والجماعة معناه الاستواء الحقيقي، على قاعدة: الاستواء معلوم والكيف مجهول، لأن الله تعالى قال عن نفسه: ﴿ لَيْسَ

---

[١]) الآية (٥٤) من سورة الأعراف.
[٢]) الآية (٣) من سورة يونس.
[٣]) الآية (٢) من سورة الرعد.
[٤]) الآية (٥) من سورة طه.

كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[١] وهذا منهج أهل السنة والجماعة، أن معاني صفات الله ﷻ الثابتة بالكتاب أو السنة، أو بهما، هي على الحقيقة، لا مجاز فيها ولا يجوز تأويلها، فألفاظها معلومة المعاني، وحقيقتها مجهولة الكيف[٢].

المبحث الثامن
إثبات العلو والمعية

١٥ ــ وهو تعالى في السما عال ومعنا أينما

بغير كيف لا كما يخطر للمبتدع

هذا هو الحق الذي جاء به كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، ومن أعلم من الله بنفسه؟!، ولا أحد أعلم بالله من رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ بَل

---

[١]) من الآية (١١) من سورة الشورى.
[٢]) انظر (الاعتقاد للبيهقي: ٤١ــ٤٥).
[٣]) الآية (٥٥) من سورة آل عمران.

رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾[2] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾[4] فهذه الآيات من كتاب الله ﷻ تثبت بم لا يدع مجالا للشك أن الله ﷻ عال فوق خلقه، وقد ذكر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على العرش، وذلك في آيات من كتابه العزيز منها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ

---

[1]) الآية (١٥٨) من سورة النساء.

[2]) الآية (١٠) من سورة فاطر.

[3]) الآيتان (٣٦، ٣٧) من سورة غافر.

[4]) الآيتان (١٦، ١٧) من سورة الملك.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[١] وثبت أن العرش فوق السماء السابعة بما لا يعلمه إلا الله تعالى، كما ورد في حديث الإسراء الطويل، ومنه قوله في صعود رسول الله محمد ﷺ: (.... **وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله، فقال موسى: ربِّ لم أظنَّ أن ترفع عليَّ أحدا، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى إليه: خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى ....**)[٢] وحديث الجارية التي أتى بها سيدها إلى رسول الله ﷺ فقال لها: (**أين الله؟، قالت: في السماء، قال: من أنا؟، قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها، فإنها مؤمنة**)[٣] وحديث النزول وفيه (**ينزل ربنا إلى السماءِ الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل**

---

[١]) الآية (٥٤) من سورة الأعراف.
[٢]) أخرجه البخاري حديث (٧٠٧٩).
[٣]) أخرجه مسلم حديث (٥٣٧).

الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟)[١] وفي آية الكرسي ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٢] أنه العلي بذاته فوق جميع خلقه، فلا يستطيع أحد منهم أن يدنو منه، وأنه العظيم عن مماثلة أو مشابهة المخلوقين، ولا خالق سواه سبحانه وتعالى، وقد آمن أهل السنة والجماعة بما أخبر الله ﷻ به في كتابه، وتواتر نقله عن رسوله ﷺ، وأجمعوا على أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه، عليٌّ على خلقه، فأصبح ذلك من المعلوم في الاعتقاد بالاضطرار من الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، وقبلت هذا الفطر السليمة، حتى غير المسلمين يعتقدون أن الله في السماء، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام عظيم في هذا[٣] ولما سئل أبو حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟!!، قال: قد كفر، لأن الله يقول: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[٤] والسماء قبلة الدعاء، وقد اتفق الناس على أنه على كل شيء سبحانه، بمعنى أنه قاهر

---

[١]) متفق عليه.
[٢]) من الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.
[٣]) انظر (درء تعارض العقل والنقل ٢/٥٩، ٧/٢٧، والفتاوى ٤/٤٥).
[٤]) الآية (٥) من سورة طه.

له، قادر عليه، متصرف فيه، فهو الأعلى بجميع معاني العلو: علو الذات، وعلو القدرة على كل شيء، وعلو الغلبة والقهر لكل شيء، سبحانه وحده لا شريك له، تنزه عن كل عيب، ونقص، فله الكمال المطلق سبحانه، ولا يجوز تأويل الفوقية بغير معناها الحقيقي، ومن قال بغير هذا فقد ضل، كمن زعم أنه بذاته فوق العالم، وبذاته في كل مكان، وهذا القول الباطل يلزم عليه من الفساد ما ينزه الله تعالى عنه[1].

أما المعية:

فلا خلاف بين أهل السنة والجماعة أن الله مع عباده أينما كانوا، قال الله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ

---

[1]) انظر (شرح العقيدة الطحاوية: ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣).
[2]) الآية (٢٤٩) من سورة البقرة.
[3]) الآية (٤٦) من سورة الأنفال.
[4]) الآية (٤٠) من سورة التوبة.

ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[٤] هذه الآيات من كتاب الله

---

[١]) الآية (١٢٨) من سورة النحل.
[٢]) الآية (٤٦) من سورة طه.
[٣]) الآية (٤) من سورة الحديد.
[٤]) الآية (٧) من سورة المجادلة.

ﷻ تثبت معية الله لخلقه وهو فوق عرشه بائن منهم سبحانه وتعالى، وهي تنقسم إلى قسمين:

١ـ **معية عامة** لكل البشر، يعلم أحوالهم وأسرارهم، لا يخفى عليه منها شيء سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[٣] وهذا الاستعمال للفظ المعية في هذه الآيات يقتضي أنه سبحانه معهم أينما كانوا، بعلمه وسمعه وبصره، يعلم ما هم عاملون، وهي معية عامة لكل الخلق، المؤمن وغيره.

---

[١]) الآية (٧) من سورة المجادلة.
[٢]) الآية (٤) من سورة الحديد.
[٣]) الآية (٧) من سورة المجادلة.

٢ــ معية خاصة:

وهي معية التوفيق والنصر والتأييد، وهذه خاصة بالمؤمنين، لا ينالها سواهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟

[١]) الآية (١٢) من سورة المائدة.



فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[3] وقال تعالى: ﴿ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ

---

[1]) الآية (١٢) من سورة الأنفال.
[2]) الآية (٤٠) من سورة التوبة.
[3]) الآية (٤٦) من سورة طه.
[4]) الآية (١٥) من سورة الشعراء.

أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ ﴾[٢] وقال أبو بكر ﷺ للنبي ﷺ وهما في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال ﷺ: **(ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما)**[٣].

فالله سبحانه فوق عرشه بائن من خلقه، وهو معهم بعلمه وسمعه وبصره أين ما كانوا، وبتوفيقه ونصره وتأييده كذلك، وكل صفة ذكرت له سبحانه وتعالى فهي على ما يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى، بغير كيف نعلمه، ولا تمثيل نتوهّمه، فمن مثّل فقد وقع في التجسيم، وشبّه صفات الخالق بصفات المخلوق، وهذا من أبطل الباطل، وقد دخل عليه هذا الباطل من محاولة تكييف صفات الله تعالى، وتصور أنها كصفات المخلوق سواء بسواء، وجهل أن العلم بكيفية الصفات فرع عن العلم

---

[١]) الآية (٣٥) من سورة محمد.
[٢]) الآية (٤) من سورة الحديد.
[٣]) أخرجه البخاري حديث (٣٤٥٣).

بكيفية الذات، نعم عرف ذات الإنسان وكيفيتها، فثبتت له معرفة صفاته، لكنه لم يعرف ذات الرب سبحانه وتعالى، فأنى له العلم بكيفية الصفات، وقد كفى الله تعالى عباده هذا العناء فقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١] فلماذا الخروج عن المنهج القويم، إلى القول بالتجسيم، أو الفرار منه إلى ما هو أقبح وهو القول بالتعطيل، وهو ما خطر للمبتدع ولو اعتصم بالكتاب والسنة لكان في عافية من ذلك.

١٦ـ من قاسه من البشر بخلقه فقد كفر
وقد أطاع ونصر أمر الهوى المتبع

هذا توكيد من الناظم رحمه الله على ما ذكر في البيت السابق، وأنه تعالى منزه عن مشابهة المخلوقين في أي صفة من صفاته، وأن هذا منهج أهل السنة والجماعة، وأن من سلك غيره، ممن زعم أن الله في كل مكان، أو لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، فقد ضل، وعميت بصيرته عن الحق، وأنهم لم يتدبروا كلام الله عز وجل، فالله لا يلحقه نقص ولا عيب، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا[٢].

---

[١]) من الآية (١١) من سورة الشورى.
[٢]) أنظر (شرح العقيدة الطحاوية: ١٧٦ـ١٨٣).

المبحث التاسع

التذكير بيوم الحساب

١٧ـ ويلاه من وزن العمل وبحره عندي وشل

قد غاض طاميه وقل فما ترى من منبع

هذا تذكير من الناظم بما يحصى من عمل الإنسان خيره وشر، وبذلك اليوم الموعود الذي تنصب فيه الموازين، ولا يجد الإنسان سوى ما قدمت يداه، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] وتنصب الموازين لمجازات الناس على أعمالهم، قال تعالى: ﴿ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

---

[1]) الآية (٣٩، ٤٠) من سورة النجم.

[2]) الآية (٤٧) من سورة الأنبياء.

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[4] والميزان حقيقي محسوس، له كفتان توزن فيه الأعمال، وهي محسوسة أيضا ولها ثقل، وقد ثبت ذلك قال رسول الله ﷺ: (**إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟، أظلمك كتبتي الحافظون؟،**

[1]) الآيتان (٨، ٩) من سورة الأعراف.
[2]) الآية (١٠٣) من سورة المؤمنون.
[3]) الآيتان (٧، ٨) من سورة الزلزلة.
[4]) الآيتان (٦ـ٩) من سورة القارعة.

يقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر؟، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة ما هذه السجلات؟ فقال: فانك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم اللّه شيء)[1] ويقول ﷺ: **(إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾**[2] وقوله ﷺ لما ضحك الصحابة من دقة ساقي عبد الله بن مسعود ﷺ: **(والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد)**[3] وقال ﷺ: **(ما من شيءٍ أثقل في الميزان من حسن الخلق)**[4] وقد ختم الإمام البخاري

---

[1]) أخرجه الترمذي حديث (٢٧٧٦) وقال: حسن غريب، وانظر (شرح العقيدة الطحاوية: ٤١٠ـ٤١١).

[2]) أخرجه البخاري حديث (٤٤٥٢)، والآية (١٠٥) من سورة الكهف.

[3]) أخرجه أحمد.

[4]) أخرجه أبو داود حديث (٤٧٩٩).

كتابه الجامع الصحيح بقول رسول اللهﷺ: **(كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده).**

فما ورد في الكتاب والسنة من وصف هذا الموقف المهول يجعل كل إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر، يحسب له الحسابات الدقيقة، سيما والإنسان ضعيف بطبعه، كثير الملل، ميال إلى اللهو ونسيان الآخرة، فعمل الخير بحر لا ساحل له، والشر كذلك، وليس لدى الإنسان من عمل الخير إلا شيء قليل في مقابل عنايته بدنياه الفانية، وغفلته عن يوم وزن العمل، فيجد أنه فرّط في التزود من بحور الخير العظيمة التي يسرها له الرب في الدنيا، وجعلها سهلة في متناول كل من أراد ذلك، لكن الإنسان اشتغل بعناء الدنيا ومكاسبها الصعبة المنال، سريعة الغدر والزوال، فجاء بعمل قليل زهيد، ولو أراد تصحيح الخطأ وتعديل المسار، ما وجد إلى ذلك سبيلا، فقد جف في هذا اليوم مجرى كل عمل خير أو شر، وتوقفت المنابع، ولم يبق سوى الحصاد، ولا مطمع حينئذ إلا في عفو الله وكرمه، ومغفرته وواسع رحمته، وإلا هلك الهالكون والعياذ بالله.



المبحث العاشر
الإيمان بالجنة والنار

١٨ـ واعترضت جهنم ونارها تضطرم
وكب فيها المجرم وقيل يا نار ابلعي

منهج أهل السنة والجماعة الإيمان بوجود الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان، وقد خلقت الجنة لعباد الله المتقين قال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ

---

[1]) الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[١] وكذلك النار خلقها الله لعباده العاصين، قال الله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾[٣] ويقول رسول الله ﷺ في حديث الإسراء: **(ثم انطلق بي، حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك)**[٤] وقال رسول الله ﷺ: **(دخلت الجنة، فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لرجل من قريش، فما منعني أن أدخله يا ابن الخطاب، إلا ما أعلم من غيرتك)**. قال: وعليك أغار يا رسول الله؟)[٥] وقال ﷺ: **(رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم، حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفا من الجنة حين رأيتموني جعلت أقدم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا، حين رأيتموني تأخرت، ورأيت فيها ابن لحي، وهو الذي**

---

[١]) الآية (٢١) من سورة الحديد.
[٢]) الآية (٢٤) من سورة البقرة.
[٣]) الآية (١٣١) من سورة آل عمران.
[٤]) أخرجه البخاري (٣٤٢).
[٥]) أخرجه البخاري حديث (٦٦٢١).

سيّب السوائب)[١] وقال ﷺ: (والذي نفس محمد بيده! لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟!، قال: رأيت الجنة والنار)[٢] وقال ﷺ: (لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة، فقال انظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها فنظر إليها، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه، قال: فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفّت بالمكاره، فقال: ارجع إليها فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال فرجع إليها فإذا هي قد حفّت بالمكاره، فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد، قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضا، فرجع إليه، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها فرجع إليها، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها)[٣] هذا مماورد في الكتاب والسنة، وهو من الأدلة الصحيحة الصريحة على أن

---

[١]) أخرجه مسلم في حديث (٩٠١).

[٢]) أخرجه مسلم حديث (٤٢٦).

[٣]) أخرجه الترمذي حديث(٢٦٨٥) وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه بقية أصحاب السنن، وأحمد في المسند، وأصله عند مسلم حديث (٢٨٢٢).

الجنة والنار مخلوقتان موجودتان، وليس كما زعم البعض أنها ستخلق فيما بعد.

وفي هذا البيت يصف الناظم رحمه الله جهنم، وحال من أهلكه عمله، وفارقته رحمة الله ﷻ، فجهنم في يوم نصب الموازين ومحاسبة العباد المؤمن والكافر، والفاسق والفاجر، تكون معترضة بين المحشر والجنة، منصوب عليها الصراط، أدق من الشعرة، وأحد من السيف، كما ورد من قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **(إن ناسا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟، قال رسول الله ﷺ: نعم، قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة، صحوا ليس معها سحاب؟، وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، صحوا ليس فيها سحاب؟، قالوا: لا، يا رسول الله، قال: ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: ليتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغير أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟، قالوا: كنا نعبد عزير بن الله، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟، قالوا: عطشنا، يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم: ألا تردون؟، فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون في النار،**

ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟، قالوا: كنا نعبد المسيح بن الله، فيقال لهم: كذبتم. ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟، فيقولون: عطشنا، يا ربنا فاسقنا، قال فيشار إليهم: ألا تـــردون؟، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعــضا فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر، أتاهم رب العـــالمين ســبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فمــا تنتظرون؟، تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنـــا! فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منــك، لا نــشرك بالله شيئا (مرتين أو ثلاثا) حتى إن بعــضهم ليكــاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آيـــة فتعرفونـــه بهـــا؟، فيقولون: نعم. فيكشف عن ساق، فلا يبقى مــن كــان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالــسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعــل الله ظهــره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفـــاه، ثـــم يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صــورته التـــي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا، ثـــم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولـــون: اللهم سلم سلم، قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟، قـــال دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك، ــ تكــون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان ــ فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجـــاود

الخيل، والركاب، فناج مسلّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنين من النار، فو الذي نفسي بيده، ما منكم من أحد بأشد منا شدة لله، في استقصاء الحق، من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا، كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا، ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا، لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا، لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا، ثم يقول: ارجعوا. فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا! لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذاالحديث فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا

عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ [1] فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط، قد عادوا حمما، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة، يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض؟، فقالوا: يا رسول الله، كأنك كنت ترعى بالبادية، قال "فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم، يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله، الذين أدخلهم الله الجنة، بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا، أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا، أي شيء أفضل من هذا؟، فيقول: رضاي. فلا أسخط عليكم بعده أبدا) [2] فالنار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وهي لكل عتل جوّاظ مستكبر، وهي عذاب الله تعالى، يعذب بها من يشاء من عباده، نستجير بالله من غضبه وعذابه.

---

[1]) الآية (٤٠) من سورة النساء.

[2]) أخرجه مسلم حديث (٣٠٢).

١٩ـ وجنة الفردوس قد تزخرفت لمن عبد

وقام ليلا وسجد في طمره المرقع

وهذا من الناظم رحمه الله تذكير بوصف الجنة، فإن فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا يخطر على قلب بشر، مما أعد الله فيها من النعيم لعباده المؤمنين، الذين عبدوه، وقاموا في طاعته ليلا ونهارا، ودعوه ورجوا رحمته سرا وجهارا، في بعد عن شهوات الدنيا وملذاتها، من مأكل ومشرب، وملبس ومركب، مستشرفين للدار الآخرة وما أعد الله في الجنة من الراحة والنعيم الدائم، الذي لا يحول ولا يزول.

٢٠ـ ونهدت أبكارها واطردت أنهارها

وغردت أطيارها في كل غصن مونع

وفي هذا البيت يذكر الناظم رحمه الله بما أعد الله لعباده في الجنة من الحور، فمنهن الكواعب الأبكار، كما قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾[1] وأنهن في غاية من الحسن والجمال ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى

---

[1]) الآية (٣٧) من سورة الواقعة.

ﭐلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾[1] لا يتمتع بهن أحد سواهم، قصر الطرف منهن على من خلقن من أجلهم، فلا يرين حسنا في غيرهم، ولا يتمنين سواهم، ﴿ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ ﴾[2] هن أزواجهم، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[3] وقال: ﴿ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾[5] هكذا جزاهم ربهم لقاء صبرهم على طاعته في الدنيا، بأن يكونوا مع أزواجهم ﴿ فِي سِدۡرٍ مَّخۡضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمۡدُودٍ ﴿٣٠﴾

---

[1]) الآية (٧٢) من سورة الرحمن.
[2]) الآية (٤٨) من سورة الصافات.
[3]) الآية (٥٤) من سورة الدخان.
[4]) الآية (٢٠) من سورة الطور.
[5]) الآيتان (٢٢، ٢٣) من سورة الواقعة.

وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

٢١ــ يا من له تبتلي في كل ليل أليل

ومن إليه موئلي دون الورى ومفزع

هذا التوجه الصحيح في الدعاء من الناظم رحمه الله هو منهج أهل السنة والجماعة، فالله وحده المسئول، عملا بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[2].

وعمل بسنة رسول الله ﷺ فقد وجه ابن عباس رضي الله عنهما فقال: (**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده تجاهك،إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم**

---

[1]) الآيات (٢٨ــ٣٤) من سورة الواقعة.

[2]) الآية (١٨٦) من سورة البقرة.

يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)[١] مسيرا بأحد الأوقات التي هي من مظان إجابة الدعاء، وهو ما ورد من قول رسول الله ﷺ: **(إن في الليل لساعة، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة)**[٢] وهذا هو النهج الصحيح، لا ما يقع فيه الكثيرون من الناس من الرجوع إلى بعض الصالحين وقد ماتوا، فيستعينون بهم على قضاء حوائجهم، ولا يجديهم ذلك شيئا، لأنه خلاف المنهج الصحيح.

٢٢ـ صل على خير البشر من كل أنثى وذكر

محمد وجه القمر ذي الجانب الممنع

وهذا من أعظم الدعاء حرص عليه الناظم رحمه الله عملا بالكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[٣] وقال ﷺ: **(من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا)**[٤] وقد سأل

---

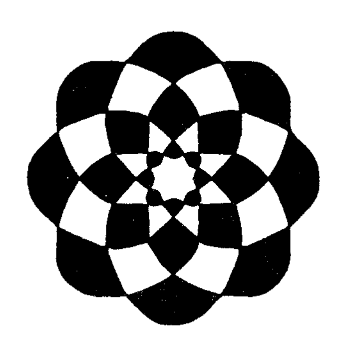
[١] (
[٢]) أخرجه مسلم حديث (٧٥٧).
[٣]) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب.
[٤]) أخرجه مسلم حديث (٣٨٤).

الصحابة ﷺ رسول الله ﷺ عن كيفية الصلاة عليه ﷺ، فقال: **(قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)**[١] وقد منح الله رسوله محمد بن عبد الله ﷺ، من الكمال البشري، في الدين والخلق والخلق، ما لم يمنح غيره ﷺ، وإذا كان الأنبياء أكمل الخلق وأفضلهم، والرسل أكمل من الأنبياء وأفضل، أولوا العزم وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أكمل من الرسل، ورسول الله محمد هو صاحب المقام المحمود، ينفع الله بشفاعته الخلق، فيأذن سبحانه بفصل الحساب، اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢ ﴾[٢] هذا ما يسر الله تعالى لنا بحثه، فله الحمد والشكر علي توفيقه، وأسأله ﷻ أن يجعله عملا متقبلا، تثقل به موازين حسناتي فيوم لا ينفع فيه

---

[١]) أخرجه البخاري حديث (٣١٨٩).
[٢]) الآيات (١٨٠ــ١٨٢) من سورة الصافات.

مال ولا بنون، وأن ينفع به من طالعه، ومن نصح وصحح وأرشد إلى خير، وتم في يوم الأربعاء ١٤٢٥/٩/٦هـ بالمدينة النبوية حرسها الله، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه نبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



فهـــرس الموضوعات

